

العلم والجهل

العقلُ اسمٌ يُطلق على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم بإجتنب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجته يُسمى أديباً، ثم أريباً، ثم لبيباً، ثم عاقلاً. وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته المائق، ثم الرقيق، ثم الأثوك، ثم الأحمق.

وأفضل مواهب الله لعباده العقل، وقد قال علي بن أبي طالب (ع):

وأفضلُ قَسَمِ اللهِ للمرءِ عقلُهُ فليسَ مِنَ الخيراتِ شيءٌ يُقارِبُهُ
إذا أكملَ الرحمنُ للمرءِ عقلُهُ فقد كَمُلَتِ أخلاقُهُ ومآرِبُهُ
يعيشُ الفتى في الناسِ بالعقلِ إنه على العقلِ يجري علمُهُ وتجارِبُهُ
يزينُ الفتى في الناسِ صحَّةَ عقلِهِ وإن كان محظوراً عليه مكاسبُهُ
يشينُ الفتى في الناسِ قِلَّةَ عقلِهِ وإن كَرُمَتِ أعراقُهُ ومناسبُهُ

لكل شيءٍ زينةٌ في الورى وزينةُ المرءِ تمامُ الأدبِ
قَدْ يَشْرُفُ المرءُ بِأَدَابِهِ فينا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَسَبِ علي (ع)

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعِ القَدْرِ لَيْسَ لَهُ فِي العِزِّ أَصْلٌ وَلَا يُنْمَى إِلَى حَسَبِ
قد صار بالأدبِ المحمودِ ذا شرفٍ عالٍ وذا حسبٍ محضٍ وذا نسبِ
يُعَلِّي التَّأدبُ أقواماً ويرفعهم حتى يساوا ذوي العلياء في الرُتَبِ

يُعدُّ رفيع القوم مَنْ كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسيب
إذا حل أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدةٍ بغريب علي (ع)

تعلّم فليس المرءُ يولدُ عالماً وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلٌ

وإن كبيرَ القومِ لا علمَ عنده صغيرٌ إذا التقت عليه الجافلُ
وإن صغيرَ القومِ إن كان عالماً كبيرٌ إذا ردت إليه المحافلُ
علي (ع)

هذب النفس بالعلوم لترقى وخذ الكل فهي للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حي وإذا أظلمت فإنك ميت (ابن سينا)

ابن سينا.

ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله ، عالم مسلم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حالياً) من أب من مدينة بلخ (في أفغانستان حالياً) وأم قروية سنة (٣٧٠هـ - ٩٨٠م) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حالياً) سنة (٤٢٧هـ - ١٠٣٧م). عرف بإسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمرير الأطباء وأبو الطب الحديث. وقد ألف ٢٠٠ كتاباً في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويعد ابن سينا من الأوائل الذين كتبوا عن الطبّ في العالم، ولقد إتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

يقول أبقراط: من إتخذ من العلم لجاماً، إتخذته الناس إماماً.

أخو العلم حيٌّ خالدٌ بعد موته وأوصأله تحت التراب رميمٌ
وذو الجهل ميت وهو ماشٍ على الثرى يُظنُّ من الأحياء وهو عديمٌ

إن كنت تطمع في العياء تخطبها وتبتغي منزل التكريم تسكنه
لا تُخلِ نفسك من علمٍ تسود به فقدر كل إمري ما كان يحسبته

قال أبو الأسود الدؤلي: لا شيء أعز من العلم، لأن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

أبو الأسود الدؤلي.

أبو الأسود الدؤلي (١٦ ق.هـ - ٦٩ هـ) هو ظالم بن عمرو بن سفيان، ولد في الكوفة ونشأ في البصرة، من سادات التابعين وأعيانهم. صحب الإمام علي بن أبي طالب، وشهد معه وقعة صفين. هو أول من ضبط قواعد النحو، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف النصب والرفع والجر والجزم، وبأمر من الإمام علي وضع أبو الأسود النقاط على الأحرف العربية.

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر يحكم العلماء

بالأقلام تساس الأقاليم. أحمد بن يوسف

أحمد بن يوسف الكاتب.

أحمد بن يوسف بن القاسم المعروف بالكاتب، وزير من كبار الكتاب من أهل الكوفة، ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره، توفي ببغداد، وكان فصيحاً، قوي البديهة، يقول الشعر الجيد، له (رسائل) مدونة. ومن كلامه يعتذر إلى بعض الأخلاء: لي ذنوب إن عدتها جلت، وإن ضممتها إلى فضلك حسنت، وقد راجعت إنابتي، وسلكت طريق إستقامتي وعلمت أن توبتي في حجتني، واقراري أبلغ في معذرتي فهذا مقام التائب من جرمه، المتضمن حسن الفيئة على نفسه، فقد كان عقابك بالحلم عني، أبلغ من أمرك بالإنتصاف مني، فإن رأيت أن تهب لي ما إستحققتة من العقوبة، لما ترجوه من المثوبة، فعلت ان شاء الله. وهو صاحب الشعر المشهور:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

ومن شعره:

يزين الشعر أفواهاً إذا نطقت بالشعر يوماً وقد يزري بأفواه

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداھي

ما مسني من غنى يوماً ولا عدمٍ إلا وقولي عليه: الحمد لله

كان لأحمد بن يوسف جاريةً مغنيةً شاعرةً يقال لها: نسيم، وكان لها من قلبه مكان، فقالت وقد غضب عليها:

غضبت بلا جرمٍ عليّ تجرماً وأنت الذي تجفو وتهفو وتغدر
سقطت بعز الملك في نفس خاضعٍ ولولا خضوع الرق ما كنت أصبر
فإن تتأمل ما فعلت تقم به المعاذير أو تظلم فإنك تقدر
فرضي عنها، واعتذر إليها. وقالت ترثيه:

نفسى فداؤك لو بالناس كلهم ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا
وللورى موتةً في الدهر واحدةً ولي من الهم والأحزان موتات
أشرف أحمد بن يوسف وهو في الموت على بستان له على شاطيء دجلة فجعل يتأمله،
ويتأمل دجلة، ثم تنفس وقال متمثلاً:
ما أطيب العيش لولا موت صاحبه ففيه ما شئت من عيبٍ لعائبه

قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب، قال: نعم الشيء، فعليك به، فإنه يُنزل المملوك في حد المملوك.

الأصمعي. (١٢١ هـ - ٢١٦ هـ / ٧٤٠ - ٨٣١ م)

أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي الأصمعي، نسبته إلى جده أصمع، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، أخباره كثيرة جداً، وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر). قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

قال أرسطو طاليس: ليت شعري: أي شيء فات من أدرك الأدب، وأي شيء أدرك من فاته الأدب؟

كان عبد الله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين ألفاً، وفي الأدب ستين ألفاً، وليت ما أنفقت في الحديث أنفقت في الأدب. قيل له: كيف؟ قال: لأن النصارى كفروا بتشديده واحدة خففوها، قال تعالى: يا عيسى إني ولدتك من عذراء بتول، فقالت النصارى: ولدتك.

عبد الله بن المبارك.

هو من العلماء والأئمة المجتهدين والمجاهدين من لهم الفضل، في إعلاء كلمة الحق بإجتهدهم في شتى العلوم الدينية والدنيوية، ولد ابن المبارك المروزي في سنة ١١٠ هـ في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وعاش إلى سنة ١٨١ هـ حيث توفي في خلافة هارون الرشيد، كانت أمه خوارزمية وأبوه تركي.

حكى عن مبارك أبي عبد الله أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأن مولاه جاءه يوماً وقال له: أريد رماناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رماناً، فكسره صاحب البستان فوجده حامضاً فحرد عليه وقال: أطلب الحلو وتحضر لي الحامض؟ هات حلواً، فمضى وقطع من شجرة أخرى فلما كسره وجده أيضاً حامضاً، فاشتد حرده عليه، وفعل ذلك ثلاثة فذاقه فوجده أيضاً حامضاً، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لا، فقال: وكيف ذلك؟، قال: لأنني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه، فقال: ولم لم تأكل؟ قال: لأنك لم تأذن لي بالأكل منه، فعجب من ذلك صاحب البستان، وعظم أبو عبد الله مبارك في عين سيده، وزاد قدره عنده وكان لصاحب البستان بنت خطبت كثيراً، فقال لمبارك: يا مبارك، من ترى تزوج هذه البنت؟، فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين. فأعجبه عقله فذهب فأخبر بها أمها وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجاً غير مبارك، فتزوجها فجاءت بعبد الله بن المبارك، فتمت عليه نعمة وبركة أبية وأنبته الله نباتاً صالحاً ورباه على عينه.

وقد كان ابن المبارك ينشد العلم حيث رآه ويأخذه حيث وجده، لا يمنعه من ذلك مانع، كتب عن من هو فوقه، وعن من هو مثله، وتجاوز ذلك حتى كتب العلم عن من هو أصغر منه، وقد روي أنه مات ابن له فعزاه مجوسي فقال: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد أسبوع، فقال بن المبارك: إكتبوا هذه. بلغ به ولعه بكتابة العلم مبلغاً جعل الناس يعجبون منه، فقد قيل له مرة: كم تكتب؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد. وعابه قومه على كثرة طلبه للحديث فقالوا: إلى متى تسمع؟ فقال: إلى الممات.

من أقواله و حكمه:

الدنيا سجن المؤمن، وأعظم أعماله في السجن الصبر وكظم الغيظ، وليس للمؤمن في الدنيا دولة، وإنما دولته في الآخرة، وليس من الدنيا إلا قوت اليوم فقط.

وسئل عن قول لقمان لإبنيه: (إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب)، قال: معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب.

قال حكيم لإبنيه: يا بني أطلب في الحياة العلم والمال. تحز الرئاسة على الناس، لأنهم خاص وعام. فالخاصة: تفضلك بما تحسن. والعامّة: تفضلك بما تملك.

قال أحمد شوقي:

يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً خذها من العلم أو خذها من المال

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يُبَنَّ ملك على جهل وإقلال

أحمد شوقي. (١٨٦٨-١٩٣٢م)

أحمد شوقي بك، شاعر مصري من مواليد القاهرة، ولد لأب ذي أصول كردية من مدينة السليمانية العراقية وأمه تركية الأصل وكانت جدته لأبيه شركسية وجدته لأمه يونانية، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر، وأنهى الابتدائية والثانوية بإتمامه الخامسة عشرة من عمره، فالتحق بمدرسة الحقوق، ثم بمدرسة الترجمة، ثم سافر ليدرس الحقوق في فرنسا على نفقة الخديوي توفيق ابن الخديوي إسماعيل، أقام في فرنسا ثلاثة أعوام حصل بعدها على الشهادة النهائية سنة ١٨٩٣م، نفاه الإنجليز إلى إسبانيا واختار المعيشة في الأندلس، وبقي في المنفى حتى عام ١٩٢٠، لقب بأmir الشعراء في سنة ١٩٢٧م، توفي سنة ١٩٣٢م وُخلد في إيطاليا بنصب تمثال له في إحدى حدائق روما.

فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ يَكُ ذَا غِنَى يَكُونُ كَذِي رِجْلٍ وَلَيْسَتْ لَهُ نَعْلٌ

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَلَمْ يَكُ ذَا حِجَى يَكُونُ كَذِي نَعْلٍ وَلَيْسَتْ لَهُ رِجْلٌ

مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ وَأَخْطَاهُ الْغِنَى فَذَاكَ وَالْكَلبَ عَلَيَّ حِدِ سِوَا (صريع الدلاء)

سئل حكيم: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ قال: العلماء، فقليل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء ولا نرى الأغنياء يأتون أبواب العلماء؟ قال: لأن العلماء عَرَفُوا فضل المال والأغنياء لم يعرفوا فضل العلم.

العلم أعلى من الأموال مرتبة لأنه حافظ والمال محفوظ

قال علي (ع):

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علمٌ وللجَهَّـةِ مالٌ
فإنَّ المالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وإنَّ العلمَ بِسَاقٍ لا يَزَالُ

إن ذا العقلِ يرى غُـنْماً لهُ عَدَمَ المالِ إذا ما العقلُ صَحَّ
ما على المرءِ بَعْدَ سُبَّةٍ إن وفا العقلُ وإن دِينُ صلحُ

يا من يلوم ابن التراب بشغله بالفلس عن شعر وعن أشعار
أرأيت في المرعى حماراً عاقلاً يلهو عن الأعشاب بالأزهار (القروي)

القروي.

رشيد سليم الخوري المعروف بـ (الشاعر القروي) و(شاعر العروبة) وله أخ يدعى قيصر ويعرف بإسم الشاعر المدني، ولد الشاعر رشيد في قرية البربارة في سوريا سنة ١٨٨٧، مسيحي الديانة، من الشعراء العرب في القرن العشرين، وقد هاجر إلى البرازيل في عام ١٩١٣ برفقة أخيه قيصر، وظل في المهجر مدة خمسة وأربعين عاماً، ثم عاد إلى وطنه وكان ذلك في عهد الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨. وقد دعا في أكثر من قصيدة إلى المحبة الأخوية بين المسلمين والمسيحيين. قال في أحد قصائده:

يا فاتح الأرض ميداناً لدولته صارت بلادك ميداناً لكل قوي
يا قومُ هذا مسيحيٌّ يذكركم لا يُنْهَضُ الشَّرْقُ إلَّا حُبُّنا الأُخوي
فإن ذكرتم رسول الله تكرامة فبلِّغوه سلام الشاعر القروي

وقد تمنى في أكثر من موضع أن يعود عهد بغداد والأندلس. قال في أحد أبياته:

يا حبذا عهد بغداد وأندلس عهد بروحي أفدي عوده وذوي
من كان في ربيّة من ضخم دولته فليتل ما في تواريخ الشعوب روي

سئل رجل: أيسرك أن تكون أحمق وأنت ثري؟ قال: لا والله، لأني أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى حمقي.

خير الله سليمان بن داود (ع) بين العلم والملك فإختار العلم، فأعطاه الله العلم والملك معاً.

داود.

داؤد أو داؤود، وتلفظ بالعبرية الحديثة: دافيد. معناه محبوب، هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل الموحدة (١٠١١ ق.م. - ٩٧١ ق.م.) وأحد أنبياء بني إسرائيل بحسب المعتقد الإسلامي، يتم وصفه على أنه أحمق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين، وهو محارب ممتاز وموسيقي وشاعر. لقد عُرف داؤد على أنه كاتب معظم المزامير التي في الكتاب المقدس.

سر نجمة داود (ع)

إن نجمة داود هي رمز يتخذها اليهود شعاراً لهم ولدولتهم ويضعونها بين خطين متوازيين لونهما أزرق والنجمة أيضاً زرقاء، اللون والنجمة ترمز إلى اليهود أو إلى بني إسرائيل، والخطين يرمزان إلى نهري النيل والفرات لأن اليهود مؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى قد وهبهم الأرض الواقعة بين نهري النيل والفرات (وكل الدول التي عقدت معاهدات إستسلام لم تجرؤ على الإعتراض على ما شكل العلم الصهيوني وما يمثله لأول المباديء التي قامت على أساسها دولة إسرائيل ألا وهي إنشاء الدولة العبرية من النيل إلى الفرات والطلب منها أن تغير علمها لأنه بحد ذاته يدل على الأطماع الصهيونية في هذه الأرض والذي يناقض كل ما تدعيه إسرائيل من حبها وحرصها على العيش مع العرب بصورة سلمية مع إن أول شيء تطلبه الصهيونية من أي حاكم عربي هو الإقرار بحق إسرائيل في الوجود وهم فعلوا ما أرادوا منهم صاغرين).

ولكي نعرف ما هو أصل هذه النجمة ولماذا إتخذها اليهود شعاراً لهم فنلجأ إلى الموسوعة البريطانية والتي ذكرت ما يلي عن نجمة داود: إن التسمية العبرية لنجمة داود هو (مجن داود) أي (درع داود) وهي شكل نجمي من ستة رؤوس يمثل مثلثان متعاكسان متساويي الأضلاع، وإن كلمة (مجن) موجودة في اللغة العربية وهي تعني أيضاً الدرع أو الترس. إن

إتخاذ اليهود لهذا الرمز شعاراً لهم والذي يرمز للشجاعة والتضحية والنصر هو تيمناً بما فعله نبي الله داود (ع) عندما إنتصر لبني إسرائيل على أعداءهم الفلسطينيين وقتله لقائدهم (جالوت). وقتل (جالوت) على يد النبي داود (ع) مذكور في القرآن الكريم أيضاً.

سليمان.

هو سليمان بن داوود آتاه الله العلم والحكمة وعلمه منطق الطير والحيوانات وسخر له الرياح والجن، وكان له قصة مع الهدهد حيث أخبره أن هناك مملكة باليمن يعبد أهلها الشمس من دون الله فبعث سليمان إلى ملكة سبأ يطلب منها الإيمان ولكنها أرسلت له الهدايا فطلب من الجن أن يأتوا بعرشها فلما جاءت ووجدت عرشها آمنت بالله.

ويذكر لنا القرآن الكريم مواقف عدة، تتجلى لنا فيها حكمة سليمان ومقدرته الفائقة على إستنتاج الحكم الصحيح في القضايا المعروضة عليه، ومن هذه القصص ما حدث في زمن النبي داود (ع)، قال تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا }، جلس داود كعادته يوماً يحكم بين الناس في مشكلاتهم وجاءه رجل صاحب حقل ومعه رجل آخر وقال له صاحب الحقل: يا سيدي النبي إن غنم هذا الرجل نزلت حقلي أثناء الليل، وأكلت كل عناقيد العنب التي كانت فيه وقد جئت إليك لتحكم لي بالتعويض. فقال داود لصاحب الغنم: هل صحيح أن غنمك أكلت حقل هذا الرجل؟، قال صاحب الغنم: نعم يا سيدي، قال داود: لقد حكمت بأن تعطيه غنمك بدلاً من الحقل الذي أكلته، فقال سليمان وكان الله قد علمه حكمة تضاف إلى ما ورث من والده: عندي حكم آخر يا أبي، قال داود: قل له يا سليمان، قال سليمان: أحكم بأن يأخذ صاحب الغنم حقل هذا الرجل الذي أكلته الغنم، ويصلحه له ويزرعه حتى تنمو أشجار العنب، وأحكم لصاحب الحقل أن يأخذ الغنم ليستفيد من صوفها ولبنها ويأكل منه، فإذا كبرت عناقيد العنب وعاد الحقل سليماً كما كان أخذ صاحب الحقل حقله وأعطى صاحب الغنم غنمه، فقال داود: هذا حكم عظيم يا سليمان، الحمد لله الذي وهبك الحكمة.

ومنها ما جاء عن محمد (ص) قال: بينما امرأتان معهما إبناهما جاء الذئب فذهب بإبن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بإبنك أنت، وقالت الأخرى إنما ذهب بإبنك، فتحاكما إلى داود ففضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود (ع) فأخبرتاها فقال اتوني بالسكين أشقهُ بينكما، فقالت الصغرى لا، يرحمك الله هو إبنها، ففضى به للصغرى.

قال أحد فلاسفة اليونان: الدين والدنيا تحت شيتين: سيف وقلم، والسيف تحت القلم.

إن أبا الفتح البستي يرى أن القلم أشرف وأعظم من السيف، ويعلل رأيه هذا إذ يقول:
 إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعوده مما يكسب المجد والكرم
 كفى قلم الكتاب مجداً ورفعاً مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم
 وهو يقصد بذلك قوله تعالى { نون والقلم وما يسطرون }.

أبو الفتح البستي.

علي بن محمد من بلدة بست في بلاد أفغان، وهو من شعراء القرن الرابع عشر بدأ حياته معلماً للصبيان في بلده ثم عمل كاتباً في بلاط الدولة الغزنوية، ارتحل إلى بخارى وفيها توفي. شاعر بارع وكاتب مجيد يهتم كثيراً بتجويد ألفاضه في نثره وشعره، كان أبو الفتح شاعر عصره، وكاتب دهره، وأديب زمانه، في النظم والنثر كما شهد له بذلك معاصروه، وله شعر رائع تكثر فيه الحكم والمعاني البديعة، وله نثر رائع بديع، يكثر فيه التجنيس والتبديع، فمن أقواله الحكيمة التي جرت مجرى الأمثال: من أصلح فاسده، أرغم حاسده. من أطاع غضبه، أضاع أدبه. عادات السادات، سادات العادات. من سعادة جدك، وقوفك عند حدك. الفهم شعاع العقل. حد العفاف، الرضا بالكفاف. المنية تضحك من الأمانة. الدعة، رائد الضعة. من حسنت أطرافه، حسنت أوصافه. أحسن الجنة، لزوم السنة. إذا بقي ما قاتك، فلا تأس على ما فاتك.

وأطول قصائده وأشهرها قافيته النونية في الأمثال، يستهيم في حفظها وروايتها أهل الأدب، يعنى بها الناس حتى الصبيان في المكتب، ومطلعها: (زيادة المرء في دنياه نقصان). وقد شرحها غير واحد من العلماء، وترجمت إلى الفارسية، والحق أنها قصيدة تفيض بالنصح والهداية والتبصير، ومع العذوبة والفصاحة والجزالة، وحسن الصنعة البلاغية الرشيقية، فهي كما قال ناظمها في أوائلها: وأرع سمعك أمثلاً أفصلها كما يفصل ياقوت ومرجان. وهي أنطق دليل على رفعة أدبه، وبلاغة بيانه، وكياسة فكره، وصلاح نفسه، وقد ضمنها النصائح الغالية، والمواعظ البليغة الواعية، فهي لآلى منثورة، وجواهر منظومة، وكل بيت منها حكمة مستقلة بنفسه، يغني عن قراءة رسالة أو كتاب، فهي من خير الشعر الحكمي وأبلغه.

ويشيرنا ابن الرومي إلى معنى بارع طريف، وهو يصور قدرات القلم وامكانياته، فهو أقوى من السيف، بل أقوى من الموت نفسه، فيقول:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يغالبُهُ مازالَ يتبعُ ما يجري به القلمُ
 كذا قضى الله للأقلامِ مذ بُرِيتُ أنَّ السيوفَ لها مُذ أُرهِفَتِ خَدَمُ
 ابن الرومي.

هو العباس بن جريج، كنيته أبو الحسن لقب بالرومي نسبة لأبيه، ولد ببغداد عام ٢٢١ هـ - ٨٣٦ م، وبها نشأ، كان مسلماً موالياً للعباسيين، ومما قاله في الفخر بقومه:

قومي بنو العباسِ حلمُهُم حلمي هَواكِ وجهلُهُم جهلي
 نبلي نبألُهُم إذا نزلتُ بي شدةٌ ونبألُهُم نبلي
 لا أبتغي أبدأ بهم بدلاً لفَّ الإلهُ بشملهم شملي

ابن الرومي شاعر كبير من العصر العباسي، من طبقة بشار والمنتبي، شهدت حياته الكثير من المآسي والتي تركت آثارها على قصائده، تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والثناء، وكان من الشعراء المتميزين في عصره، وقد عكف ابن الرومي على نظم الشعر مبكراً. تعرض على مدار حياته للكثير من الكوارث والنكبات والتي توالى عليه غير مانحة إياه فرصة للتفاؤل، فجاءت أشعاره إنعكاساً لما مر به. وإذا نظرنا إلى تاريخ المآسي الذي مر به نجد إنه ورث عن والده أملاً كثيراً كثيرة أضاع جزء كبير منها بإسرافه ولهوه، أما الجزء الباقي فدمرته الكوارث حيث احترقت ضيعته، وغُصبت داره، وأتى الجراد على زرعه، وجاء الموت ليفرط عقد عائلته واحداً تلو الآخر، فبعد وفاة والده، توفيت والدته ثم أخوه الأكبر وخالته، وبعد أن تزوج توفيت زوجته وأولاده الثلاثة.

قالوا إنه كان يتشائم من الأسماء ويتطير منها، فإذا كان الإسم حسناً فتح له بابه، وإذا كان شؤماً رده إلى صاحبه. تحكى في طيرته أقاصيص غريبه منها: أن أحد الأمراء إشتاق إليه، فبعث مرسولاً إسمه (إقبال)، فلما أتى ابن الرومي قال له: عد إلى صاحبك فإن مقلوب إسمك (لابقاء). وليس غريباً عليه هذا بعد موت جميع المقربين إليه من الأهل وهذا قد يولد هذا النوع من الطيرة. عاصر ابن الرومي عصور ثمانية من الخلفاء العباسيين، وكان معظمهم يرفضون مديحه يردون إليه قصائده، ويمتنعون عن بذل العطايا له. مما قاله في ذلك:

قد بلينا في دهرنا بملوكِ أدباءِ عَلِمْتُهُم شعراءِ
 إن أجدنا في مدحهم حسدونا فحُرِمنا مِنْهُم ثوابَ الثناءِ
 أو أسأنا في مدحهم أنبونا وهَجَوُا شعَرنا أشدَّ هجاءِ

قد أقاموا نفوسهم لذوي المدح مقام الأنداد والنظرَاءِ

عرف ابن الرومي بإجاداته الكثير من الأشكال الشعرية والتي جاء على رأسها الهجاء، فكان هجاؤه للأفراد قاسي يقدم الشخص الذي يقوم بهجاؤه في صورة كاريكاتورية ساخرة مثيرة للضحك. قال عنه المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وعاد إليه فهجاه ولذلك قلت فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء. توفي ابن الرومي مسموماً ودفن ببغداد عام ٢٨٣هـ - ٨٩٦م. قال العقاد: أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله، وزير المعتضد، كان يخاف من هجوه وقلبات لسانه بالفحش، فدرس عليه ابن فراش، فأطعمه حلوى مسمومة، وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال له: سلم على والدي: فقال له: ما طريقي إلى النار.

قال الشريف الرضي:

ليس السيوفُ عن الأقلامِ غانيةً الفَرِيُّ للسيفِ والتقديرُ للقلمِ
الشريف الرضي.

في سنة (٣٥٩هـ - ٩٧٠م) ببغداد ولد محمد بن الحسين بن موسى، الملقب بالشريف الأجل، والشريف الرضي حيث كان نقيباً للأشراف، وينتهي نسبه من طرفيه إلى علي بن أبي طالب (ع). وفي بغداد عاش وتعلم ونبع وأشعر، وبها أيضاً توفي.

كان فاضلاً عالماً شاعراً مبرزاً، وكانت له هبة وجلالة، وفيه ورع وعصمة، عالي الهمة، شريف النفس، لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، وكان عفيفاً شريفاً ملتزماً بالدين وأحكامه. وبجانب الشعر كان للشريف الرضي تأليف عديدة منها: المتشابه في القرآن، وتفسير القرآن، ونهج البلاغة، وهذا الإنتاج معلم على غزارة علمه وتبحره في العربية وعلومها.

نظم الشريف الرضي الشعر في عهد الطفولة، وهو لم يبلغ عشر سنين، فأجاد ونظم في جميع فنون الشعر، وجاء محلقاً في سماء الشعر محرزاً قصب السبق، وأجاد في جميع أغراض الشعر العربي، وهذا ما يدل على غزارة مادته. كان ينظم قصائده بمنحة نفسانية قلما تؤثر بها العوامل الخارجية. وامتاز الرضي بأن شعره على كثرتة يلبس ثوب الجودة والملاحة وهذا قلما يتفق لشاعر مكثر، بل لم يتفق لغيره، وشعر الرضي صاف وجميل في كل الفنون، فهو عندما يهجو لا يستخدم الألفاظ النابية والكلمات المقذعة، وعندما يتغزل فليس كغيره، ولكن بأدب جم وبسمو أبعد عن كثير مما يتعاطاه الشعراء من الألفاظ الغرامية، ومن شعره:

رمانى كالعـدو يريد قتلى فغالطني وقال أنا الحبيب
وأكرني فعرفني إليه لظى الأنفاس والنظر المريب
وقالوا لم أطعت وكيف أعصي أميراً من رعيته القلوب

قال أبو الفتح البستي:

صلاح العباد ورشدُ الأمم وأمنُ البرية من كلِّ غم
بشيئين ما لهما ثالثُ بخرقِ الحسامِ ورفقِ القلمِ

وقال ابن الأثير:

فالعزُّ في سهواتِ الخيلِ مركبُهُ والمجدُّ ينتجُهُ الإسراءُ والسهـرُ

عليك بالكتاب فإنه خير الأصحاب، وهو روح الموانسة وقوت المجالسة وعنوان السعادة، وهو أمين لا يخون وعزيز لا يهون، إن حملته في النادي شرفك وإن جهلت أحداً عرفك، يقوي جنانك ويبسط لسانك، الكتاب يجلس الصعلوك على كراسي الملوك، يقوم الزلل ويسد الخلل ويطرد الملل ويشافي العلل، يحفظ الأخبار ويروي الأشعار ويكتم الأسرار، إذا وعظ أبكاك وإن حدث أشجاك، وإذا فرح أضحكك، إن هجرته حفظ ودك وإن طلبته صار عندك، فخير جليس في الأنام كتاب.

صاحب الكتاب، وجالسه، وأنسه بالمطالعة فيه، يوانسك بالعلم والمعرفة والخير، إنك تطالع عقول الرجال، وتمضي حيث وقفوا وتنطلق من حيث إنتهوا، ثم أعلم أنه لا يخلو كتاب من فائدة، إما أن تعمل بها، أو تحذر منها، وليست العبرة بإقتناء الكتب في المكتبات، وتصنيفها في الأدراج، ولكن العبرة بالفهم والمطالعة فيها، فهي خير سمير في الليالي، وأجل جليس، وأحسنه وأكرمه، ومن فوائد الكتب أنها مؤنسة، ومشغلة بالخير صارفة عن الشر، دالة على طرق الصلاح، قاطعة لصحبة الأشرار.

قال أحد العقلاء: صحبت الناس فملوني وملتهم، وصحبت الكتاب فما مللته ولا ملني، نفع الناس، وتوصيل الخير للغير، فمن جعل الكتاب صاحبه إنتفع ونفع الناس، ومن خدم المحابر خدمته المناير، حفظ الإنسان لعمره من الضياع وحرصه على الإفادة من وقته، وقديماً قيل:

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثوان

أنه سلوة إن خانك أصحابك، أنك تطالع فيه أخبار من غبر، وتنظر إلى سيرهم فتزداد
طموحاً وصبراً وبصيرة وحكمة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب (المتنبي)

خير المحدث والجليس كتاب تخلو به إن ملك الأصحاب
لا مفشياً سراً إذا استودعته وتقال منه حكمة وصواب
المتنبي

لا شيء أنفع من كتاب يُدرَسُ فيه السلامة وهو خِلُّ مُؤنِسُ
رسمٌ يَفِيدُكُ ما يَفِيدُ ذُو النُّهى أعمى أصمُّ عن الفواحشِ أخرسُ

قال كلثوم بن عمرو العتّابي:

لنا جلساء ما نَمَلُ حديثهم ألباء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ولا تنقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلت أمواتٌ فما أنت كاذبٌ وإن قلت أحياءٌ فلسنت مفندا
العتّابي.

كلثوم بن عمرو العتّابي، أديبٌ كاتبٌ شاعر، من شعراء الدولة العباسية، شاميٌّ من أهل
قنسرين ناحية حمص، ومن ساكني بغداد، كان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرّشيد
ووصلوه له، فبلغ عنده مبلغاً عظيماً، وحظي بعد ذلك عند المأمون، ورُمي عند هارون
الرّشيد بوشاية، فهرب إلى اليمن، فسعى جعفر البرمكي بأخذ الأمان له من الرّشيد، فأمنه
وعاد، فقال يمدح جعفر:

ما زلت في غمرات الموت مطرَحاً قد ضاق عني فسيح الأرض من حيلي
ولم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى إختلست حياتي من يَدَيَّ أُجلي
وللعنَّابِيَّ شعراً في الحكمة تظهر فيه راحةً عقله وسعةً خبرته في الحياة، فمن ذلك قوله:

إِنِّي بَلَوْتُ النَّاسَ فِي حَالَتِهِمْ وَخَبِرْتُ مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَنْسَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعاً وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَسْبَابِ

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيءٌ عندي أعز من العلم فما أبتغي سواه أنيسا
إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيسا (القاضي الجرجاني)

قيل لرجلٍ: من يُؤنسُك؟ فضربَ بيده إلى كتبه، وقال: هذه، فقيل: من الناس؟ فقال: الذين فيها، ثم أنشد لأبو بكر القفال الكبير:

خليلي كتابي لا يعاف وصاليا وإن قل لي مالٌ وولى جماليا
كتابي جليسي لا أخاف ملاله محدثٌ صدقٍ لا يخاف ملاليا
محدث أخبار القرون التي مضت كأنني أرى تلك القرون الخواليا
فهم جلسائي لا بهائم رتَّع حميرٌ سُدَى ما يخطرُون بباليا
كتابي بحرٌ لا يغيض عطاؤه يُفيض عليَّ المال إن غض ماليا
كتابي دليلٌ لي على خيرٍ غايةٍ فمن ثم إدلالي ومنه دلاليا
إذا زغْتُ عن قصد السبيل أقامني وإن ضل ذهني ردني عن ضلاليا